



محمد أفندي ...!



قيل وما أكثر ما قيل إن قلة القوق في مجتمعاتنا مردها في الغالب إلى خلوها من المرأة؛ وإلى هذا أشار صاحب الرسالة في أكثر من مناسبة، وعنده أن الشباب إذا ازدادت مجتمعاتهم بالأوانس شدوا الشكيمة وكبحوا جماهم وحرص كل امرئ منهم على أن يظهر على خير ما يجب من دماثة الخلق ورقة الحاشية ولطف الحديث

ولكن منظارى قائله الله بل عافاه الله وصرف عنه كل غشاوة يابى إلا أن يكشف لي عن موقف لا تتحقق فيه هذه الفكرة بل لقد نقضت فيه من أصولها وجاء الأمر على عكس ما تفادى للتفائلون وتعنى الكاتبون

كنت مسافراً إلى الريف الحبيب في قطار فالتقيت في عمر من عمراته بثلاثة من الشبان تقاربت أعمارهم، وكان كل منهم بادي المافية حسن البزة مهلل القفبات؛ ونادى أحدهم رابعاً لهم كان في أبحاهى بسبغنى بخطوات فقال له: أمامك في هذه اللرية قبل الآخر بديوان تجد محمد أفندي إلى جانب الشباك الأيمن وقد حجزنا أمكنة فانتظرنا هناك

ودخل « رابعهم » هذا الديوان المشار إليه وأحسنت كأي

للفوارق، لكن أتى للكشف وغير الكشف أن يزيل للفوارق وفي الدنيا من جنود الشيطان أضعاف أضعاف بني الإنسان رحمك الله يا جبار الكشف وأنتم بك من صرب حطم الفيود وزحزح العقبات من طريق مبادئه للصحيحة!

ها هي ذى الفقرة الأخيرة من رسالته التي أذاعها لأبنائه كشافي العالم من روديسيا: « لقد عشت جندياً ثم كشافاً، أما الرحلة الثالثة من حياتي فتتوقف على ما يريد لي الأطباء » ذلكم هو الرحوم الدكتور روبرت بادن باول ولورد جلويل وملك قلب كل كشاف، فرحمة الله رحمة واسعة

خميس زهران
زهم جواله باسكندرية

أجذب إلى هذا الديوان نفسه فدخلت وانخفت مكانى، ولكنى لم أجد إلى جانب الشباك الأيمن غير آمنة أجنبية لم تقع عيني في نهاري كله على أجل منها صورة وأملح منها عينا، وبدت لي في منتصف المقعد الثالث من عمرها كالوردة في زمن الورد بلغت أقصى تفتحها ومنتهى ريساتها

وكانت متجهة ببصرها إلى النافذة، لا تلتفت إلا ربما ترمق الداخل، ثم تعود فتتجه أبحاهما الأول، وكان على عيهاها الجميل ما يشبه المم من فرط سكونها واحتشامها وتحرك للقطار وجاء للشبان الثلاثة وجلسوا في ضوضاء بمد أن نظر كل منهم إلى هيئته في المرأة، فأصلح ما تشمت منها، وتشاغلته عنهم بكتاب في يدي، ولكن منظارى لم يفعل عنهم، فرأيتهم يتخاطبون بالأحداق لحظة، وعلى فم كل منهم ابتسامة خبيثة، وكلمهم بوميء لصاحبه رأسه نحو النافذة اليمنى وقطع أحدهم فترة هذه الإشارات اللاسلكية بقوله:

« محمد أفندي تقلان علينا يعني قوى »؛ ونحك الآخرون ضحكاً ماجنة مائة... وفطنت أن محمد أفندي لم يكن غير تلك الأنسة التي تتجه بنظرها إلى الفضاء الممدد خارج القطار!

وأيقن أربعتهم أنها لا تعرف اللرية. فانطلقت ألسنتهم بألوان من الفحة، عجبت ولن أزال في عجب، أن لم يبد على وجه أحدهم أى قدر من الخجل لتلك الألفاظ التي أخرجها الآن لجرود أن أئذكرها! ثم ذهب كل منهم يتظرف بما وسعته سماجته، فهذا يأتي بضروب من اللنكات لا يسيفها إلا ذوقه وذوق أصحابه، وذلك يداعب خاتمه الماسى وساعته الذهبية، وآخر يخرج حافظه تقوده فيقلب الأوراق المالية ثم يرداها إلى جيبه، هذا فضلاً عما تنافسوا في سرده من المناصرات التي صرف فيها ما صرف من الأموال وكلها بالضرورة من نسج الخيال - كل أولئك و « محمد أفندي » في شغل عن ظرفهم ولطف حديثهم بالنظر إلى فضاء الأرض

ولما أفرغوا ما في جيبهم من إرد للنكات وسخيف الحكايات انتظرت أن يتطرق إليهم اليأس أو يمسهم شيء من برودة الموقف فيضجلون؛ ولكنهم انقلوا إلى ما هو أدهى وأمر مما كانوا فيه فراحوا يصفون في طريقة بهيمية جمال تلك الأنسة التي لم يبد على قسبتها إلا ما يبدو على قسبات تمثال من التماثيل من اللبثات